مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 497 - 512

ظاهرة الانزياح في النقد العربي بين التأصيل اللغوي وتعدّد المصطلح

The phenomenon of displacement in Arab criticism between linguistic rooting and pluralism of the term

أ. دوبالة عائشة[1]
المشرف: أ.د برونة محمّد

تاريخ الإرسال: 02 01 2019 تاريخ القبول: 25 12 2019

ملخّص: اهتمّت الدّراسات النّقديّة العربيّة بظاهرة الانزياح باعتباره قضيّة أساسيّة في تشكيل جماليات النّصوص الأدبيّة، والانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بوساطته التّعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي وخصائصه الفنيّة والجماليّة.

وانطلاقا من هذه الحقيقة، نجد أنفسنا في مجال النّقد والأدب أمام سؤال ملح: ما مفهوم ظاهرة الانزياح عند النّقاد والبلاغيين العرب القدامى والمحدثين؟ وفيم تكمن الوظيفة الأسلوبيّة للانزياح في النّص الأدبي؟ هذا ما سنسعى للإجابة عنه في هذه الدّراسة.

كلمات مفتاحيّة: الانزياح؛ النّقد العربي؛ البلاغة؛ الأسلوبيّة؛ النّص الأدبي.

Abstract: The Arab criticism studies the phenomenon of displacement as a fundamental issue in the formation of aesthetics literary texts, and displacement is a deviation from the usual style of speech, a linguistic event that appears in the formation of speech and

[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، البريد الالكتروني: doballah31@gmail.com

formulation, and can identify the nature of literary style and its artistic and aesthetic characteristics.

Based on this fact, we find ourselves in the field of criticism and literature in front of the urgent question: what is the concept of the phenomenon of displacement among the critics and the old and modern Arab? What is the stylistic function of the displacement in the literary text? This is what we will try to give answers about in our study.

Keywords: displacement; Arab criticism; rhetoric; stylistic; literary text.

مقدّمة: تعدّ ظاهرة الانزياح من الظّواهر الهامة في الدّراسات الالسّنيّة والأسلوبيّة التي تدرس اللغة الشّعريّة على أنها لغة مخالفة للكلام العادي والمألوف لأن النّص الأدبي خاصة الشّعر ينزع إلى تحقيق هويته من خلال الاختلاف عن الخطاب الشّائع. الانزياح في الخطاب الأدبي يشكل مجالا واسعا للتفاعل والتّواصل، إذ يؤثر في شعور المتلقي وإحساسه، وذلك باختراق اللغة والانحراف عن القاعدة والمعيار الأساسي، للخطاب العقلاني ليأتي محله الشّعور الوجداني وبموجبها يكون الخطاب عامل تأثير في المتلقي فللأديب أمور كثيرة يستغلها في التّعبير عن تجربته من خلال الانفعال والتّأثير.

من هذا المنطلق يلوح الإشكال على المشتغل بالدّرس النّقدي: هل اهتم الخطاب النّقدي والبلاغي قديمه وحديثه عند العرب على حد سواء بظاهرة الانزياح؟ وهل أسس آليات لدراستها بعدما باتت واحدة من أهم مقومات إنتاج النّص الأدبي؟

1. ملامح الانزياح في التّراث النّقدي العربي: تناول النّقد العربي قضيّة الانزياح من قبل، بأسلوب يضاهي أحيانا مستوى المدارس الأسلوبيّة الغربيّة الحديثة، وإن كان مصطلح الانزياح حديث النّشأة، إلا أن الظّاهرة التي يدل

عليها ليست جديدة، بل تعود جذورها إلى القدم، وإن كانت حاضرة بمسميات مختلفة[1].

الباحث عن ملامح الانزياح في التّراث العربي حتما سيجد ما يبحث عنه ولكن بتسميات واصطلاحات: كالعدول والالتّفات والتّغيير والخروج والانحراف والتّحريف وغير ذلك، ومن الملحوظات المبكرة في التّراث العربي حول هذا المفهوم، ما ذهب إليه بعض النّقاد من "أن الجاحظ (ت 255ه) قد أشار في البيان والتّبيين إلى مستويين في اللغة: المستوى العادي في الاستعمال، والمستوى الفني في الاستعمال الخاص، ويقترن المستوى الأول بطبقة العامة، وغرضه إفهام الحاجة أما المستوى الثّاني فغرضه البيان البليغ، ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتّجويد والتّماس الألفاظ وتخيرها"[2].

1.1 العدول: إن مصطلح "العدول" هو أقوى المصطلحات القديمة تعبيرا عن مفهوم الانزياح، فقد حظي هذا المصطلح باهتمام النّقاد والدّارسين المحدثين بالاستعمال، ورأى بعضهم أن المصطلح أحسن ترجمة لمفهوم الانزياح، ولذلك سنحاول الآن إيراد بعض السّياقات التي ورد فيها بمعنى فني مما يمكن أن يوضح إلى أي مدى اقترب المصطلح واستعماله من المفهوم الحديث.

فقد ورد العدول عند "ابن جني" (ت.392ه) بعد تفطنه إلى المعاني التي يحققها الانزياح في قوله: " وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتّوكيد والتّشبيه " [3].

يلاحظ من مجمل قوله أن العدول يجوز كلما استعمل في الكلام المجازي قصد الاتساع والتّوكيد والتّشبيه، فالانزياح مصطلح غير مذكور في "الخصائص"، لكن يمكن أن يقرب بالعدول والاتساع والمجاز، وورد عنده أيضا في قوله: "ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد لفظه" [4].

واستعمله "ابن سينا"(ت.428ه) في قوله: "فإن العدول عن المبتذل إلى الكلام العالي الطّبقة، والتي تقع فيها أجزاء هي نكت نادرة هي في الأكثر بسبب التّزيين لا بسبب التّبيين" [5].

واستعمله "عبد القاهر الجرجاني"(ت.471ه)أيضا في قوله: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزيّة والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النّظم. فالقسم الأول: الكنايّة والاستعارة، والتّمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه، على الجملة، مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظّاهر..." [6] فضلا عن أنه يرى العدول هو جوهر الشّعريّة ومادتها فيقول: "هذا الضّرب من المجاز، على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشّاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان [7].

ولقد يطول بنا المقام لو رحنا تستقصي كل من ورد مصطلح "العدول" عنده من القدماء أو كل السّياقات التي ورد فيها، لكن في وسعنا تأكيد أن المصطلح كثير الورود في التّراث العربي القديم.

2.1 الالتّفات: حظي مصطلح "الالتّفات" من أهل اللغة والبيان بكثير من العنايّة والاهتمام وكانت بوادر ذلك مبكرة نوعا ما، "فأول من ورد عنده هذا المصطلح هو فيما يبدو "الأصمعي"، إذ نراه يسأل إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أتعرف التّفاتات جرير؟ فيقول له: وما هي؟ فينشده:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقي البشام

يقول الأصمعي: ألا تراه مقبلا على شعره ثم التّفت إلى البشام، فدعا له". [8] وعند هذا يقف الأصمعي دون أن يشير إلى غايّة ما من وراء هذا الالتّفات، فهو يكتفي بأن يصف الظّاهرة وحسب.

وعرض "ابن المعتز" للالتّفات وعرفه بأنه "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك." [9] ثم ذكر جملة شواهد له دون تعليق.

وورد عند "قدامة بن جعفر" في (نقد الشّعر) حيث جعله من نعوت المعاني قال: "ومن نعوت المعاني الالتّفات: وهو أن يكون الشّاعر آخذا في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله، أو سائلا يسأل عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يذكر سببه، أو يحل الشّك فيه" [10]. ومن الواضح أن قدامة هنا يلتفت إلى غايّة الالتّفات فيجعلها من قبيل توكيد المعاني وإزالة الإبهام.

أما "ابن جني" فإنه عرض للالتّفات وحاول جلاء بعض أسراره، عن طريق تنبهه على أن الالتّفات ليس من قبيل الاتساع كما جرت العادة أن يقال ،بل لابد فيه من غرض معنوي، فقال "في قراءة الآيّة "**وَاتَّقُوا يَوْمًا يُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىَ اللّه**" البقرة 281.

بياء مضمومة: إنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى: "**حتى إذا كنتم في الفلك جرين بهم بريح طيبة**" يونس 22.،وكأنه- والله أعلم – إنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة، فقال: (يرجعون) بالياء رفقا من الله سبحانه بعباده المطيعين لأمره" [11]. وهكذا فما يهم عند ابن جني هو ما وراء "الالتّفات" من غايات معنويّة لا مجرد الحركة بين الخطاب والغيبة في ذاتها.

وورد عند "الزّمخشري" (ت .538ه) مصطلح "الالتّفات" معرفا على نحو قريب مما أتى عليه "ريفاتير" من اعتبار الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، إذ نجد الزّمخشري يرى بلاغة الالتّفات ماثلة بما فيه من مبالغة وبما فيه من تحريك للفت انتباه السّامع، يقول: "فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، ثم إن الكلام إذ نقل من أسلوب إلى أسلوب

كان أحسن تطريّة لنشاط السّامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد." [12] وبالتّالي فإن الزّمخشري قد ذكر وتنبه إلى غايّة معنويّة أخرى للالتّفات وهي المبالغة ولفت انتباه السّامع.

3.1 التّغيير: وقد تردد هذا المصطلح عند شراح أرسطو من العرب وبخاصة "ابن سينا" (ت.428ه) و "ابن رشد" (ت.595ه)، والتّغيير فعل يؤدي بالكلام العادي المألوف إلى أن يخرج غير مخرج العادة، فقد ذهب ابن سينا إلى قول "أن القول يرشق بالتّغيير، والتّغيير هو أن يستعمل كما يوجبه المعنى فقط، بل أن يستعير ويبدل ويشبه، وهو يرى أن التّغييرات أربعة: تشبيه واستعارة من الضّد واستعارة من التّشبيه" [13].

ويرى "ابن رشد" - وهو الذي أكثر من استعمال المصطلح- أن القول الشّعري هو القول المتغير، والمتغير عدول عن الحقيقة إلى المجاز. ويشرح هذا التّغيير فيقول: "ومعنى التّغيير أن يكون المقصود يدل عليه لفظ ما، فيستعمل بدل ذلك اللفظ لفظ آخر، ثم يشير إلى أن هذا التّغيير يكون على ضربين: أحدهما التّشبيه والآخر الاستعارة" [14].

وقد فصل "ابن رشد" القول في مفهوم التّغيير بصورة تجلي دلالتّه على الانزياح، قول: "التّغييرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتّشبيه، وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة مثل: القلب والحذف والزّيادة والنّقصان والتّقديم والتّأخير وتغيير القول." [15] فإخراج القول الشّعري إخراجا مغايرا للمألوف يتحقق في مستويات الخطاب المختلفة فهو يتحقق في بنيته الإيقاعيّة التي تتسم بالانسجام والتّوازن، ويتجسد في المستوى التّركيبي من خلال التّصرف في تراكيب الكلام تقديما وتأخيرا، حذفا وإيجازا، وما إلى ذلك، فضلا عن المستوى الدّلالي وما يتعلق به من أمور الصّور والمجاز عامة.

ولعله قد بدا جليا أن مؤدى "التّغيير" لا يختلف في كثير عن مؤدى الانحراف أو الانزياح.

4.1 الخروج: أورد "أبو الهلال العسكري" نصا يقول فيه: أن الشّعر "أكثره قد بني على الكذب والاستحالة؛ من الصّفات الممتنعة،

والنّعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة" [16].

وترد عند "الباقلاني" كثيرا عبارة (الخروج عن العادة) في سياق وصفه لإعجاز القرآن الكريم.

وثمة قول "لابن سينا" لاحظ فيه أن الشّعراء هم "أول من اهتدى إلى استعمال ما هو خارج عن الأصل...إذ كان بناؤهم لا على صحة، بل على تخييل فقط". [17]

ولكن ثمة نصا وجدناه أبلغ نص التّفت إلى مفهوم الانزياح عبر استعماله لفظ "الخروج" وقد كان ذلك النّص "لأبي الحسن علي بن محمّد الدّليمي" قال فيه: "إن الصّناعات الخارجة عن المعتاد تدل على انفراد صانعها بصنعه، لأن النّاظر إذا نظر إلى تلك الصّنعة البائنة عن الصّناعات جذبته قوة الصّناعة الحكميّة التي يوافقها على صانعها، وذلك أن الحسن الذي للمصنوع بالصّنعة إنما هو معنى من الصّانع ألبسه إياه". [18]

ومن الواضح أن النّص يضفي على الفرادة والخروج عن المألوف قيمة كبرى فيرى أنهما مناط التّميز ومنبع الجذب والتّأثير. وبهذا تكون مزيّة الشّاعر (الصّانع) في قدرته على الخروج من إطار المألوفات، والدّخول فيما ليس بمألوف ولا معتاد؛ أي أن مزيته في قدرته على الانزياح عما قد ألفه هو، وعما قد ألفه النّاس منه.

5.1 الانحراف والتّحريف: خصص "ابن جني" فصلا صغيرا من كتابه "للتحريف"، الذي يصيب اللفظ وأشار إلى أنه قد جاء في ثلاثة أضرب: الاسم

الفعل والحرف. ويرد عند "ابن جني" لفظ "الانحراف "إذ يقول:"...فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فعال فضارعت فعال بذلك فعّالا. والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله، أما فعّال فبالزّيادة، وأما فعال فبالانحراف عن فعيل." [19]

وورد عند "ابن كثير" الفعل الماضي "حرف" في تعليقه على قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ [الأنبياء 93/92].

قال "الأصل في تقطعوا تقطعتم، عطفا على الأول، إلا أنه حرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتّفات " [20].

ويرد عند "حازم القرطاجني"(ت.684ه) ذكر لفظ "الانحراف" في قوله: "فأما ما يجب في طريقة الجد(في الشّعر)فألا ينحرف في ما كان من الكلام على الجد إلى طريقة الهزل كبير انحراف، أو لا ينحرف إلى ذلك بالجملة؛ لأن الكلام المبني على الجد إنما قصد به إلقاؤه بمحل القبول من أهل الجد، وكثير من أهل الجد يكره طرق الهزل...فلذلك يجب ألا يتعرض إليها كبير التّعرض". [21] وما يهمنا في قوله هذا هو تسميته الخروج من الجد إلى الهزل "انحرافا".

ومن تلك الإشارات نلمح معرفة الدّرس النّقدي والبلاغي القديم لظاهرة الانزياح، وإن كانت بمسميات مختلفة تقترب بشكل أو بآخر من فضاء هذه الظّاهرة الأسلوبيّة، فقد اهتدى نقادنا العرب إلى صور متعددة تمثل في جوهرها خرقا للمألوف، لذلك كانت إشاراتهم وملاحظاتهم بذورا صالحة للتوسع والتّطوير، تكشف عن اهتمام مبكر منهم بالبحث عن طرق استغلال إمكانات اللغة، وطاقاتها الكامنة وأسرارها الدّفينة.

إن هذا التّغيير هو الذي يكسب الكلام جمالا ورونقا، و"ابن سينا" يقصد به استخدام الألفاظ في غير معناها الحقيقي، والخروج بالتّراكيب اللغويّة من

مجراها الطّبيعي، وهذا كله يتضمن الصّور القائمة على التّشبيه والاستعارة وما يجري مجراهما من المجاز والكنايّة، وهذه كلها أبواب داخلة تحت ما يعرف عند النّقاد بالتّغيير والانحراف.

2. أسلوبيّة الانزياح عند العرب المحدثين: اهتمت الدّراسات الأسلوبيّة اللغويّة واللسانيّة العربيّة الحديثة بظاهرة الانزياح باعتبارها قضيّة أساسيّة في تشكيل جماليات النّصوص الأدبيّة فدرستها تنظيرا وتطبيقا، ولم يهمل النّقاد العرب الإشارة إلى الباحثين الأسلوبيين والشّعريين الغربيين الذين تطرقوا للانزياح كما أنهم لم ينقلوا آراء الدّارسين الغربيين دون إضافة أو تأصيل للانزياح في النّقد الأسلوبي العربي، وبالإضافة إلى هذا فإننا نلاحظ أن جميع الدّراسات الأسلوبيّة العربيّة لم تخل من الإشارة إلى مفهوم الانزياح ودوره في الخطاب الأدبي.

ولذلك سنحاول رصد هذه الظّاهرة عند بعض الدّارسين العرب المحدثين و عرض مفهومهم و نظرتهم للانزياح و ما أضافوه من جديد على ما سبق، أو ما أقروه فنجد من أمثلة ذلك:

1.2 ظاهرة الانزياح عند "عبد السّلام المسدي": يعرض "عبد السّلام المسدي" مفهوم الانزياح في كتابه (الأسلوبيّة والأسلوب) وفيه يرى أن جل التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تكاد تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها ويتمثل في مفهوم الانزياح l'ecart، جعل المسدي الانزياح كأنه العامل المشترك بين كل التيارات التي تعتمد الأسلوب الأدبي عنصرا أساسيا في خطاباتها.

ثم ينتقل "المسدي" بعد ذلك إلى ذكر أن للانزياح قواعد تأسيسيّة متجاوزة للمنظور الأسلوبي الضّيق لتشع بجلاء على حقول التّفكير اللساني، وصورة ذلك قول المسدي: "أننا قد نبسط فرضيّة عمل نعتبر بها أن الظّاهرة اللغويّة في

ذاتها مصب جدولين ونقطة تقاطع محورين: أولهما الجدول (النّفعي) وهو الجدول الخادم إذ مداره وضع اللغة الأول وهو الأصل بالذّات الزّمن، وثانيها الجدول العارض وهو الجدول المخدوم إذ محوره وضع اللغة الطّارئ، هذان المظهران كلاهما واقع لغوي وأولهما متنازل descendant ويمثل قضيّة la thèse الموجود اللغوي كتجسيد لخصوصيّة الحيوان النّاطق والثّاني(متعال)ascendant وهو(نقيضه) l'antithèse ذلك الموجود". [22]

ويستطرد "المسدي" في حديثه عن الانزياح ليصل إلى إبراز قيمة هذا المفهوم فيقول في ذلك: "ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظريّة تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى صراع قار بين اللغة والإنسان: هو أبدا عاجز أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها وكلية إشكالها كمعطى (موضوعي: ما ورائي) في نفس الوقت بل إنه عاجز عن أن(يحفظ) اللغة شموليا وهي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة إلى الفعل." [23] ليصل في الختام إلى اعتبار الانزياح احتيال على مستويين: احتيال الإنسان على اللغة، واحتيال الإنسان على نفسه وذلك حين قال: "وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا." [24] وهذا الاحتيال المشروع، يمكن الشّاعر أو المبدع من تجاوز النّمطيّة والقالب اللغوي الجاهز، الذي يجعلانه عاجزا عن الإبداع، واللغة الشّعريّة ليست عاجزة على الابتكار والإبداع، وإنما هي قادرة على تجاوز قصور اللغة المعياريّة.

وعليه يمكن القول أن "عبد السّلام المسدي" تطرق لظاهرة الانزياح أو الاستعمال النّفعي كما يصطلح عليها وذلك من خلال اطلاعه على المراجع الأجنبيّة المتخصصة في ذات الموضوع كما أنه يرى أن مصطلح "العدول" هو المصطلح الأنسب لهذه الظّاهرة اللغويّة و بهذا يكون قد أضاف إلى الدّراسات النّقديّة العربيّة الكثير.

2.2 ظاهرة الانزياح عند أحمد محمّد ويس: درس "أحمد محمّد ويس" مفهوم الانزياح في كتابه(الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة)، ويعرفه بأنه "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا استعمالا يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر" [25]، ويظهر لنا من هذا التّعريف أن الانزياح هو الفيصل بين الكلام العادي والكلام الفني، وليس من قبيل المبالغة في شيء أن يقال: "إن الانزياح يتغلغل في مسارب الأدبيّة عامة والشّعريّة على نحو خاص تغلغلا يصح معه القول إنه يقع منهما موقع القلب من الجسد؛ فإذا كان القلب هو ما يمد الجسم بالدّم والغذاء فإن الانزياح هو وحده الذي يمنح الشّعريّة موضوعها الحقيقي." [26]

ومفهوم الانزياح الذي نحن فيه الآن مفهوم تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة. إذ نجد "ويس" يقول: "ومن البديهي أن تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا ولكن كثرتها تلفت النّظر حقا، فهي ليست بطارئة في الكتب العربيّة فحسب، بل إنها غربيّة المنشأ أصلا، وقد أشار إليها(خوسيه إيفانكوس) إشارة سريعة. وكان عبد السّلام المسدي قد أورد طائفة من تلك المصطلحات ذاكرا أمام كل واحد منها أصله الفرنسي وصاحبه، وذلك على هذا النّحو [27]:

الجدول رقم 1: مصطلحات الانزياح.

المصطلح المعرب	المصطلح الغربي	مستعمله
الانزياح	L'ecart	فاليري
التّجاوز	Labus	فاليري
الانحراف	La deviation	سبيتزر
الاختلال	La distorsion	ويلك ووارين
الإطاحة	La subversion	باتيار

المخالفة	l'infraction	تيري
الشّناعة	le scandale	بارت
الانتهاك	Le viol	كوهين
خرق السّنن	La violation des normes	تودوروف
اللحن	L'incorrection	تودوروف
العصيان	La transgression	آراجون
التّحريف	L'alteration	جماعة مو

المصدر: أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات، ص30- 31.

وعلى هدي ما تقدم يمكن القول، إذا كان لانبثاق المصطلح من دواع تختلف من عصر إلى آخر، فإن نمو الفكر وتطوره، ثم اتساع رقعة المعارف، واكتشاف حقائق جديدة، كل ذلك من دواعي انبثاق مصطلحات جديدة.

3.2 ظاهرة الانزياح عند منذر عياشي: لقد تمكن "منذر عياشي" من خلال دراسته لمصطلح الانزياح من تحديد مفهوم أولي، وذلك عند حديثه عن اللغة والمعيار: "ثمة معيار يحدده الاستعمال الفعلي للغة ذلك لأن اللغة نظام وإن تقيد الأداء بهذا النّظام هو الذي يجعل النّظام معيارا، ويعطيه مصداقيّة الحكم على صحة الإنتاج اللغوي وقبوله." [28]

من خلال هذا القول ندرك جليا معياريّة اللغة وما مدى خضوعها لهذا النّظام المعياري إذ أن هذا المعيار هو المحدد الأول لصحة الإنتاج اللغوي.

كما أن "منذر عياشي" من خلال كتابه (الأسلوب وتحليل الخطاب) تطرق إلى تعريف الانزياح من خلال قوله: "أما الانزياح فيظهر إزاء هذا على نوعين: إنه إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج على النّظام اللغوي نفسه" [29].

من خلال القول الذي بين أيدينا ندرك جليا أن "منذر عياشي" سعى إلى إيجاد مفهوم لمصطلح الانزياح الذي وقع في شباك تعدد المصطلح، نظرا لصعوبة تحديد مفهوم شامل لهذا المصطلح، وهو على حسب منذر عياشي يقع على وجهين أحدهما خروج عن النّظام اللغوي في حد ذاته وهذا أبلغ وأوسع من سابقه.

4.2 ظاهرة الانزياح عند محمّد العمري: تناول الباحث "محمّد العمري" ظاهرة الانزياح في كتابه (تحليل الخطاب الشّعري) فيقول: "إلى جانب الاتجاه اللساني الخالصّ الذي يسعى إلى وضع نحو للشعر ضمن نحو اللغة أو بموازاته وعلى حذوه، هناك اتجاه البلاغيين البنيويين الذين استفادوا من اللسانيات من جهة واستثمروا نتائج الدّراسات البلاغيّة القديمة من جهة أخرى، وفي هذا النّطاق يدخل جون كوهن في كتابه "بنيّة اللغة الشّعريّة"..." [30].

لذا يقر "محمّد العمري" بأن أكمل صياغة لسانيّة لنظريّة الانزياح وأشهرها هي التي صاغها جون كوهن في كتابه "بنيّة اللغة الشّعريّة" لهذا حاول أن يبرهن على أن الصّور البلاغيّة كلها إنما تعمل بخرقها الدّائم لسنن اللغة. فإذا كانت "اللغة من المنظور الوظيفي؛ وسيلة للتواصل من أقرب الطّرق وبأقل جهد فإن الشّعر يسعى إلى عرقلة هذه الوظيفة بطرق متعددة، وليس خرق قوانين اللغة إلا مرحلة أولى من عمليّة الانزياح ينبغي أن تتلوها مرحلة تقليص الانزياح، وهي مرحلة تأويليّة تعيد الصّورة إلى حظيرة اللغة، وتبعدها من غير المعقول، ولذلك يلح" جون كوهن"- ويتبنى رأيه "محمّد العمري" – على الوظيفة التّواصليّة وإلا فقد الشّعر انتماءه إلى اللغة، وهذا ما عبر عنه جاكبسون بالهيمنة." [31]

فالخطاب الشّعري خطاب لغوي تواصلي تهيمن فيه الوظيفة الشّعريّة دون أن تغيب الوظيفة التّواصليّة. ويرى "محمّد العمري" أن ظاهرة الانزياح باعتبارها

إجراء لغويا تجد بعدا مهما في التّراث البلاغي العربي في الحديث عن العدول والالتّفات والصّور كالمجاز والاستعارة، وليست نظريّة الانزياح في صياغتها اللسانيّة الحديثة إلا محاولة لتفسير ما عبر عنه البلاغيون العرب القدامى.

خاتمة: إن هذه الدّراسة تمحورت حصيلتها حول الكشف عن ظاهرة الانزياح في النّقد العربي، فعمدنا في إطار هذا البحث التّطرق إلى الجانب النّظري للظاهرة، إذ حاولنا أن نتناول ظاهرة الانزياح عند العرب القدامى والمحدثين، مع تتبع الخصوصيّة الأسلوبيّة للنص الأدبي. واستنادا إلى ما درسناه حول الموضوع توصلنا إلى النّتائج التّاليّة:

- أن هناك ملامح وصلات لظاهرة الانزياح في الدّرس النّقدي والبلاغي العربي القديم، ولكنها لم ترد بهذا المصطلح أي الانزياح وإنما وجدت في ثنايا مصطلحات عديدة؛ كالعدول والالتّفات والتّغيير والخروج والانحراف...وكلها ألفاظ تصب مفاهيمها في ظاهرة الانزياح بشكل أو بآخر تتسع أو تضيق؛ معنى ذلك عدم وجود مصطلح يتطابق مع مصطلح الانزياح- بالمفهوم الحديث- تطابقا كليا ليبقى مجال الخصوصيّة والتّميز مفتوحا؛

- وجود مستويين في استخدام اللغة؛ المستوى العادي النّمطي الذي تحكمه علاقات لغويّة عاديّة مألوفة، والمستوى الفني الذي تحكمه علاقات لغويّة غير عاديّة أو منحرفة عن المألوف في الانجاز اللغوي؛

- إن الدّارسين والنّقاد العرب المحدثين قد أصلوا للظاهرة الانزياحيّة في التّراث النّقدي والبلاغي العربي، كما أنهم تأثروا بالدّراسات الغربيّة وخاصة بنظريّة "جون كوهن"، فاستفادوا وأفادوا وشكلوا بذلك خلفيات معرفيّة ينطلق منها الدّارس المعاصر.

هوامش:

[1] ينظر: أحمد محمّد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح/مجلة عالم الفكر، الكويت/مج25 ع3- جانفي- مارس ، ص 63.

[2] عبد السّلام المسدي، المقاييس الأسلوبيّة في النّقد الأدبي من خلال "البيان التّبيين" للجاحظ، مقال حوليات الجامعة التّونسيّة، العدد: 13- ص 158.

[3] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، تح: محمّد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنّشر بيروت- لبنان، د.ط ، د.ت، ص 442.

[4] المصدر نفسه، ص 267.

[5] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا د.ط، 2002، ص39.

[6] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2 1989،ص429- 430.

[7] المصدر نفسه، ص228.

[8] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 175.

[9] ابن المعتز، كتاب البديع، دار الحكمة، دمشق–سوريا، د.ط، د.ت، ص 58.

[10] قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح : محمّد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلميّة بيروت ، د.ط، د.ت ص 150.

[11] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 177.

[12] المرجع نفسه، ص 178.

[13] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 41.

[14] المرجع نفسه، ص42.

[15] سفيان بوعنينبة، الانزياح اللغوي عند ابن سينا وابن رشد، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانيّة ع11، سكيكدة، 2015، ص 54.

[16] أبو الهلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1 القاهرة 1952 ، ص 136.

[17] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 46.

[18] المرجع نفسه، ص 46- 47.

[19] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج3، ص 268.

[20] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 45.

[21] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986، ص 328.

[22] عبد السّلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ط3، د. ت، ص 105.

[23] المرجع نفسه، ص 106.

[24] المرجع نفسه، ص 106.

[25] أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص7.

[26] المرجع نفسه، ص 7.

[27] ينظر: المرجع نفسه، ص30- 31.

[28] منذر عياشي، الأسلوب وتحليل الخطاب، دار الإنماء الحضاري، سوريا ، ط1،2002 ص 204.

[29] المرجع نفسه، ص 204.

[30] محمّد العمري، تحليل الخطاب الشّعري، الدّار العالميّة للكتاب، الدّار البيضاء- المغرب ط1،1990 ، ص 32.

[31] المرجع نفسه، ص36- 40.